جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية
Naif Arab University For Security Sciences

مصادر العنف الطلابي والحياة الجامعية

إعـداد
أ. د. معن خليل العمر
جامعة نايف العربية للعلوم الأمنية

جامعة مؤتة ـ المملكة الأردنية الهاشمية
مؤتة: ٢١/ ١/ ١٤٢٧هـ (الموافق ٢٠/ ٢/ ٢٠٠٦م)

المحتويـــــات

المقدمـــة ٢

المفاهيـــم ٥

صيرورة مصادر الفعل العنفي عند الطلبة الجامعيين ٧

تحليل الفعل العنفي ١٨

تنظير الفعل العنفي ٢٢

الخلاصـــة ٢٨

التوصيـــات ٢٨

المصادر والمراجع ٣٠

المقدمـــة

يتبلور سلوك العنف عند الطالب الجامعي من خلال تفاعل عدة متغيرات (اجتماعية وسياسية واقتصادية) داخل الحياة الاجتماعية ليقوم المحيط الجامعي بتلقيح جينات العنف عند المتنور والطموح والمتحمس والمتعاطف (الطالب الجامعي).

وعندما يعاق طموحه، أو يمنع تعاطفه مع الفقراء أو العاطلين عن العمل، أو يحجم تحمسه الوطني في تحديد مواقفه السياسية، أو يلجم حديثه عن الحقوق المدنية والسياسية أو يقمع في محاسبة سراة المؤسسات الرسمية، فإن ذلك يدفعه نحو الانخراط في حركات عقائدية ويزيد من تكثيف تفاعلاته مع جماعة الأتراب والتماثل مع أهدافها وذلك يؤدي إلى تسخين حرارة تحمسه وتعاطفه لكي يخترق المنع والقمع واللجم الممارس عليه من قبل السلطة حتى تصل درجتها لغاية تدفعه إلى التصرف العنيف.

وتحاول هذه «الورقة» رسم صورة معبرة للعنف الطلابي في الحياة الجامعية من خلال تمهيد للموضوع ثم توضيحه بشكل مفصل. وتتصف الحياة الجامعية بخصوصية متفردة ومتميزة عن باقي التنظيمات الرسمية (المستشفيات والشركات والنقابات والأحزاب السياسية) إذ تعيش فيها شريحة شبابية متعلمة تتمتع بحيوية نابضة في الطموح الثقافي والعلمي والتطلع إلى مستقبل أرحب وأرقى والاعتداد بالنفس والشعور الوطني والقومي وتمتلك سلوكاً يقظاً مفعماً بالإدراك العالي في معرفة مصالح وغايات المجتمع، وتتمتع باستعداد سريع للتفاعل الاجتماعي مع الأحداث الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والدينية من أجل إثبات وجودها في النسيج العلائقي وبالجسد الاجتماعي.

إلا أنه عند دخول الطالب إلى الحياة الجامعية يكون مجهولاً وجاهلاً في الآن نفسه مجهولاً بالنسبة لباقي أعضاء هذه المؤسسة الجامعية، لأنه تم قبوله على أساس معدله في الدراسة الثانوية وليس على أساس قرابي أو إقليمي، فيدخل في مجتمع لا يعرف منهم إلا العدد القليل، وغالباً ما تكون معرفته بهم سطحية أو ظرفية، كذلك هم لا يعرفون عنه الكثير ولا عن خلفيته الاجتماعية والاقتصادية وعند شعوره بأن الآخرين يجهلون هويته الاجتماعية، يميل حينئذ إلى تقديم وتعريف نفسه لهم من خلال مظهره الخارجي (في الملبس والتأنق فيه) والاشتراك في جلسات زمالية ليعّرف نفسه لهم، الأمر الذي يجعله يبالغ في إبراز مقومات هويته الذاتية والشخصية والدراسية.

هذا من جانب ومن جانب آخر، فإنه جاهل بمكنونات الحياة الجامعية وما فيها من علاقات مختلطة بين الجنسين (في الغالب) ومتنوعه في اختصاصاتها العلمية والمعرفية ومتدرجة في مراحلها الدراسية ومتفاوتة في انحداراتها الطبقية ومتباينة في مستويات أفرادها الاجتماعية (حضرية وريفية) ومختلفة في جنسيات طلبتها (محلية وإقليمية وأجنبية).

بيد أن الجامعة لا تترك هذا التنوع يعيش في حرمها حسب خصوصياته، بل تعمل على تطبيعه (أو تنشئته) تطبيعاً علمياً وثقافياً يتناسب طرداً مع أهدافها في التربية والتعليم العالي، وغالباً ما تأخذ هذه العملية التطبيعية أربع سنوات ولا تزيد على سبع سنوات (بالنسبة للكليات الطبية وبعض الاختصاصات الهندسية).

ومن البديهي أن لكل جامعة ضوابط علمية وسلوكية تستخدمها في توجيه طلبتها عبر حياتهم الجامعية داخل الحرم الجامعي تلزم الجميع

باحترامها والالتزام بها من أجل إيجاد حياة اجتماعية وعلمية منتظمة ومتنامية خالية من الاضطرابات والاعتلالات والمشكلات الاجتماعية وسواها .

ولما كانت الحياة الاجتماعية العامة متغيرة باستمرار ومتأثرة بعوامل خارجية وداخلية في دفع عجلة التقدم إلى الأمام فإن ذلك يجعلنا نتوقع أن هناك من يقف ضد هذه التغيرات بسبب تضرر مصالحة أو تهديد موقعه الاجتماعي أو لتعوده على الحياة الماضية ولا يريد تغييرها لأنها تحتاج إلى معنوية جديدة في تبني ماهو جديد والتخلي عما هو مألوف عنده ومتعود عليه .

ولما كانت الجامعة تضم أبناء هذا المجتمع المتغير فإن عليها أن تواكب حركة التغير الدائرة في الحياة الاجتماعية العامة .

إلا أن الجامعة كمؤسسة أكاديمية تكون أكثر انفتاحاً على التغيرات الحديثة . والمؤثرات الخارجية من المؤثرات الداخلية المحافظة والتقليدية إذ تقوم بتدريس أحدث المبتكرات العلمية والنظريات التربوية والنفسية والاجتماعية وتتقدم على المستوى الاجتماعي والثقافي للمجتمع العام، لذا فإن العديد من علماء الاجتماع ينظرون إلى الجامعة على أنها إحدى وكالات التغير الثقافي في المجتمع .

بيد أن وجود التنوع الاجتماعي والاقتصادي والديني والعرقي في المجتمع الجامعي يجعلنا نتوقع وقوع انحرافات سلوكية عند البعض منهم فيخرجوا عن الالتزام بالضوابط الجامعية التي أقرتها الجامعة في تحقيق أمنها وإشعار طلبتها بالاطمئنان والحرية المتلزمة واحترام الرأي الآخر وعدم التعصب لأي جانب لكي لا يحصل تحيز فئوي أو طبقي، وعند حصول

انحرافات عن ضوابط الجامعة فإن ذلك يكون ممثلاً لقاعدة أساسية في الابتعاد عن حياتهم الجامعية وانجذابه لمؤثرات الحياة الاجتماعية خارج الحرم الجامعي، وبين هذا الشد إلى الخارج والمرونة الداخلية (داخل الحرم الجامعي) يندفع المنحرف إلى استخدام السلوك العنفي في تحقيق غاياته وأهدافه الخاصة والعامة.

مفاهيم الدراسة

بعد أن قدمنا استهلالاً عن موضوعنا، نرى من المفيد والضروري أن نشرح المفاهيم الرئيسية فيه لكي نستطيع أن نحدد مسار رؤيتنا بوضوح وتحلينا بدقة نستفيد منها في إعطاء صورة صافية غير مشوشة عن مضمون موضوعنا الذي نخوضه. . . . . وهي:

١ ـ معايير شبابية جامعية: التي تشير إلى مقاييس مرحلية تعكس الرؤى المتفتحة والأفكار النيرة والطموح العالي والتركيز على المظهر الخارجي للطالب في الملبس والمنطق والسلوك اليومي داخل الحرم الجامعي هذه المعايير تجعل من سلوك الطلبة الجامعيين تصرفاً منمطاً يشترك فيه معظم طلبة الجامعة ويتماثلون مع قواعده ومحدداته ويشعرون بتماسكهم وتضامنهم الاجتماعي وانتمائهم إلى مجتمعهم الجامعي الخاص وليس العام بذات الوقت لكي يميزوا مجتمعهم عن باقي أعضاء التنظيمات الرسمية الأخرى (الموظفين والأطباء والعمال والمهنيين)، علماً بأن هذه المعايير يستخدمها الطلبة لقياس مدى تقاربهم وتماثلهم وتباعدهم عن المجتمع الجامعي ونستطيع القول إن هذه المعايير هي التي تتحكم في سلوكهم وتفكيرهم اليومي طيلة دراستهم في الحرم الجامعي ومن الجدير

بالذكر في هذا المقام أن هذه المعايير هي شرائحية جزئية خاصة بالشريحة الشبابية الجامعية فقط فضلاً عن كونها معايير من النوع الوجوبي والإلزامي ممثلة إحدى وسائل الضبط الاجتماعي، من أجل جعل الطالب منضبطاً مع الجمع الطلابي.

أما وظيفة هذه المعايير، فإنها لاتتوقف عند حد الضبط الاجتماعي بل تذهب إلى مدار تنظيم علاقة الطالب بزملائه الطلبة وتعرفه على أكبر عدد ممكن منهم إضافة إلى توضيحها للحدود الواضحة والتميز بين السلوك الطلابي السوي والمنحرف ناهيك عن تحقيق وجوده في المجتمع الطلاب. ي على الجملة، فإن المعايير الطلابية تتضمن اللزوميات والوجوبيات والعدميات الاجتماعية.

٢ـ التنشئة الطلابية : Student Social Zation التي تقوم بعملية تطبيع الطالب بمعايير المجتمع الطلابي وذلك عن طريق التفاعلات الاجتماعية السائدة في الحرم الجامعي (سواء أكان في المقصف أو قاعة المحاضرة أو حدائق الجامعة أو أروقتها) وعادة يبلور هذا التفاعل توقعات Expectation لكل سلوك يبلور تفاعلهم المستمر ويخدم مكانتهم الاجتماعية بين مجاميع الطلبة وإذا لم يستطع الطالب تحقيق توقعات جماعته من الطلبة فيما يخص أنماط سلوكهم، فإنه يعد في نظرهم غير متماثل مع معاييرها ومنحرفاً عنها، وهذا يسهم في هبوط مكانته الاجتماعية فيما بينهم، وبذا يعد التماثل مع معايير الجماعات الطلابية مقياساً مرجعياً تقاس من خلاله درجة إنتماء الطالب ودرجة تماثله مع معاييرها وإزاء هذه الحالة نستطيع تحديد ثلاثة نماذج من الطلبة وهم: الأول يكون متماثلاً مع معايير الجماعات الطلابية، والثاني يكون غير متماثل معها (أي منحرفاً عنها ومخالفاً لها) والثالث يكون مستقلاً أي أنه لا يعترض

على مقاييس جماعته لكنه لا يلتزم بها ويتعامل معها حسب رغائبه (إنه يشبه المخالف لكنه غير متعمد لذلك).

٣ـ جماعة الأتراب Peer group أو جماعة النظائر أي الطلبة الجامعيين الذين يتفاعلون معهم باستمرار ويمثلون نفس مرحلته العمرية (من الذكور والإناث)، ممثلين خط الجماعة الأولية Primary group لأنها لا تمتلك تدرجاً اجتماعياً ولاتمارس سلطة موقعية ولا تتضمن العلاقات القرابية بل السطحية والظرفية وغيرها إذ يتعلم الطالب الكثير عن نفسه وعن الآخرين وعن الحياة.

صيرورة مصادر الفعل العنفي عند الطالب الجامعي

تبدأ صيرورة السلوك العنيف عند الطالب الجامعي من تفاعل ثلاثة أنواع رئيسية من المصادر وهي:

أ ـ المصدر الشخصي الذي يضم المؤشرات التالية:

١ ـ دور الطالب الجامعي.

٢ ـ التنشئة الأسرية الخاطئة أو الناقصة.

٣ ـ الخيبة فالاعتداء.

ب ـ المصدر الجامعي الذي ينطوي على المؤشرات التالية:

١ ـ التنشئة الجامعية.

٢ ـ جماعة الأتراب.

٣ ـ موقع الجامعة الجغرافي في المدينة.

ج ـ المصدر المجتمعي الذي يشمل المؤشرات التالية:

١ ـ الفساد السياسي والاقتصادي والإداري .

٢ ـ الحركات العقائدية .

٣ ـ غياب الجماعات المتوسطة .

٤ ـ سلبيات التحديث .

٥ ـ المرحلة التطورية الانتقالية .

على الرغم من استقلالية هذه المصادر إلا أنها متفاعلة مع بعضها مبلورة سلوكاً منشقاً عن المعايير الاجتماعية السائدة في المجتمع سمي روبرت مرتون هذا الانشقاق بالسلوك المعارض عند ما ميز بين نوعين من السلوك المنحرف، يكون الأول غير متماثل مع معايير المجتمع إلا أنه لا يعلن عن انحرافه أمام الناس بصراحة خافياً خروجه عن المعايير الاجتماعية وهارباً من مواجهة الأسوياء (ونسميه نحن بالانحراف الصامت) وسمي الثاني بالمنشق ـ المعارض الذي يعلن عن انشقاقه وانحرافه عن معايير مجتمعه السائدة وبشكل علني أمام الناس ولا يهرب من مواجهة الآخرين من الواقع الذي يعارضه ولا يخفي معارضته له وغالباً ما يكون هذا النوع من الانشقاق سائداً في المناشط والجماعات السياسية والدينية إذ يعلن المنشق عن مبادئه أو مذهبه الانشقاقي أمام الناس عبر وسائل الإعلام دون مواربة أو تضليل يتحدى فيها المعايير الاجتماعية والمبادئ السياسية التي يرفضها (ونسميها نحن بالانحراف الناطق) ويتحدى مصداقيتها أو ممارستها سواء أكان ذلك على شكل اعتصام أم إضراب أم تدمير ممتلكات نقيض السلوك الانحرافي الأول (غير المتماثل) الذي يعترف بشرعية المعايير التي خالفها أو التي انحرف عنها وإن انحرافه هذا لا يعدو مجرد تعبير عن مخالفته للمعايير التي يتماثل معها ولا يطالب بتغيرها أو تبديلها أو تجديدها بينما يميل المنشق إلى تغيير

المعايير التي يرفضها بواسطة الممارسة والإفصاح العلني عنها وطرح بدائل لها، أي يحاول المطالبة باستبدالها بما يعتقد به وبما لا يعتقد به بينما الأول (غير المتماثل) على عكس ذلك يهرب من عقوبات المعايير السائدة دون تقديم بدائل لها ولا يخاف من طائلة القانون أو الوصم الاجتماعي وهذا نقيض المنشق. (Merton 1917,p.p.793-830).

ومن نافلة القول أن المصادر الثلاثة (الشخصية والجامعية والمجتمعية) تعيش في المجتمع تحت غلاف اجتماعي منسوج بنسيخ شفاف قوامه التقاليد والأعراف التقاليدية يسميه أمتاي أتربوني (عالم اجتماع أمريكي معاصر) بالغلاف الكبسولي Capsule عندما وصف السلوك العنيف الصادر عن وجود عناصر متناقضة ومتصارعة Capsulated Coflict متغلفة بالغلاف الاجتماعي المصنوع من عادات وتقاليد ومعتقدات المجتمع (Etzioni, 1971, p.p.701-705).

ولما كان هدف الجامعة تنشئة طلبتها على معايير تربوية وأكاديمية متميزة فإنها تتوقع منهم الالتزام بها وممارستها في الحياة العملية سواء أكان ذلك داخل حرمها الجامعي أم خارجه وتعد هذه المعايير مقياساً مرجعياً تقيس من خلاله درجة انتماء الطالب إليها ودرجة تماثله معها لكن عندما يكون في المجتمع فساد سياسي واقتصادي وإداري أي وجود مجموعة اجتماعية متسلطة على المواقع التدرجية الهرمية العليا ومستأثرة بسلطتها ومكاسبها المادية والمعنوية، يدرسها الطلبة الجامعيون ويرون المحسوبية والمنسوبية والرشوة المنتشرة في مؤسسات الدولة وعندما يدركون أن أداء الأغلبية من المجتمع أكثر من حقوقهم مع اقتران كل ذلك مع حرمان الأغلبية المغلوبة على أمرها في ممارسة نشاطهم الفكري والسياسي والانتخابي، فإن ذلك يبلور عندهم عنفاً صامتاً مبطناً ببطانةأو بغلاف شفاف جاهزة للإعلان عنه

بشكل علني وناطق عندما تمارس عليهم سياسة المنع والقمع والتلجيم والتحجيم.

وعندما تكون هناك حركات عقائدية (أحزاب سياسية ومنظمات عقائدية فكرية) فإن التنشئة الجامعية لا تكون صافية ومتوازنة بل يصيبها الصرع والخلل لأن قسماً من طلبتها وبحكم أعمارهم الناشئة وإحساسهم الوطني وبداية ثقافتهم المعرفية وتفاعلهم مع مؤثرات وسائل الإعلام اليومية نجدهم يتأثرون بها ويحملون مبادئها وأهدافها ولا سيما أن هذه الحركات الاجتماعية تمثل فعلاً جمعياً أساسياً في تصرف الأفراد متضمناً أبعاداً واسعة النطاق في حياتهم العامة من أجل تحقيق آثار فعالة في النظام الاجتماعي تهدف إلى تهذيب بعض أوجهه وتطوير مساراته للوصول إلى غايات اجتماعية أسمى وأرقى وهذا ما حدده كل من كيرت لا نج وكلاوي لانج وكذلك بيرنر وكيليان عندما قالا إنه فعل جمعي له القدرة على دفع عملية التغير الاجتماعي نحو مراحل تطويرية متقدمة (Ryan, 1967, p.8).

هذا من جانب ومن جانب آخر إذا كانت الجماعات المتوسطة غائبة في المجتمع وبالذات تلك التي تتوسط بين الطلبة الجامعيين والحكومة لإيصال مطالبهم في العمل أو تحسين مستوى العيش أو محاربة الغلاء أو الاستغلال التجا ري والصناعي مثل الاتحادات والنقابات والمنظمات الطلابية والمهنية أو وسائل إعلامية اتصالية حرة. عندئذ يجدون أبواب الاتصال بالمسؤولين مغلقة أو غير موجودة الأمر الذي يدفعهم إلى الانخراط في سلوكيات عنيفة مؤذية من أعمال شغب أو تخريب ممتلكات جامعية أو التصادم مع رجال الأمن أو التعصب الطائفي أو السياسي (الذي يعيش في كبسولة مؤقتة جاهزة للانفجار عند ممارسة سياسة المنع والقمع أو التلجيم أو التحجيم)

مهدداً بدوره الأمن الجامعي ويصدّع حياة الجامعة الاجتماعية والأكاديمية لأنه يربك توازن أنساق المجتمع الجامعي ويعوق نموه حسب معاييره ولوائحه التنظيمية ويعرقل تنشئة الجامعة لطلابها حسب معاييرها. ننتقل بعد ذلك إلى مؤشر «سلبيات التحديث المتعصرن» Modernization فعلى الرغم من إيجابيات عمليات التحديث في إرقاء المستوى المعيش في المجتمع ودفع عجلة التمدن والتحضر والتقدم نحو الأمام إلا أنها تفرز سلبيات تنعكس على بعض الشرائح الاجتماعي وبالذات على أصحاب الدخل المحدود والمتدني لأن التحديث ينطوي على تحويل النظام الاقتصادي والاجتماعية والسياسي إلى مرحلة عصرية متمدنة بعدما كانت تمثل مرحلة تقليدية قديمة لا تساير روح العصر بيد أن هذا التحول (من القديم إلى الحديث)، يتطلب خضوع الحكومات التي تطلب التحديث (وأغلبها من دول العالم الثالث) إلى الضغوط التالية:

١ ـ رفع الدعم الحكومي للسلع الاستهلاكية التي تحتاج إليها الفئات الفقيرة وذات الدخل المحدود (موظفي الدولة).

٢ ـ الاستجابة لشروط وضغوط القوى السياسية الخارجية (سياسة الدول الكبرى).

٣ـ الاستجابة لطلبات وشروط الاقتصاد الخارجي (اقتصاد الدول العظمى).

٤ ـ تقنين الاستيراد.

٥ ـ عدم رفع رواتب العمال والموظفين.

جميع هذه الشروط غاياتها الحصول على ثقة الأسواق المالية والتجارية العالمية لكي تقدم للحكومات المطالبة بتحديث القروض والمساعدات المالية والتقنية (Vayrynen, 1986, p519).

مثل هذا الموقف يثير الفئات الفقيرة وذات الدخل المحدود والمعارضة السياسية والمثقفين على السواء ما يعمل على ممارسة ضغوط شعبية (عبر وسائل الإعلام)، وعلى شكل تظاهرات جماهيرية ضد الحكومة التي رضخت لهذه الشروط وتصبح حالة يتحدث عنها في الصحف والمجلات والفضائيات ويتم استخدامها من قبل الحركات العقائدية الموجودة في المجتمع فتحرك عناصرها الموجودة في المجتمع الجامعي (لاسيما وأن الحرم الجامعي من الأماكن الواسعة للتجمعات العلنية والرسمية من الشباب) لتحريض باقي الطلبة ممن هم غير منتمين ولا سيما أن معايير المجتمع الطلابي الجامعي من النوع المتفتح الليبرالي (منفتح على الآخر والمضاد) وهذا يشكل محيطاً اجتماعياً مشجعاً على الخروج عن الضوابط الرسمية والجامعية والحكومية الذي بدوره يربك تنشئة الجامعة لطلبتها في التماثل مع معاييرها الخاصة بها فيتظاهرون وقد ينخرطون في تصادم عنيف مع رجال الأمن يكون على شكل عنف جماعي Collective Violence .

مؤشر آخر ينطوي تحت المصدر المجتمعي وهو المرحلة التطورية الانتقالية التي يمر منها المجتمع في حركته التطويرية إذ تتطلب التخلي عن بعض المعايير القديمة وتبني أخرى جديدة الأمر الذي يولّد عدم استقرار المعايير السائدة في المجتمع ولما كانت الجامعة إحدى وكالات التغير الاجتماعي فإنها تستجيب لهذه المطالب التطورية وهذا ينعكس على تنشئتها لطلبتها إذ تقوم بتغيير تعليماتها وقواعدها الأكاديمية مما يولد نوعاً من التذمر والاستياء بين الطلبة الذين لا يريدون التخلي عما تعودوا عليه وما يخدم مصالحهم مثل تغير النظام الدراسي من السنوي إلى الفصلي أو رفع معدل النجاح في المواد التدريسية وسواها . ننتقل بعد ذلك إلى مؤشر يعكس المصدر الجامعي وهو «جماعة الأتراب أو النظراء Peer group أو الجماعة

العمرية أي الطلبة الجامعيين الذين يتفاعل (الطالب) معهم باستمرار ويمثلون نفس مرحلته العمرية (من الذكور والإناث) ممثلين نمط الجماعة الأولية primary group لأنها لا تمتلك تدرجاً اجتماعياً ولا تمارس سلطة موقعية ولا تتضمن العلاقات القرابية، بل السطحية والظرفية وغيرها، إذ يتعلم الطالب الكثير عن نفسه وعن الآخرين وعن الحياة الطلابية وعن مسيرة المجتمع وأحداثه السياسية والاجتماعية والاقتصادية التي لا يحصل عليها من أفراد أسرته بل حتى تساعده على حل مشكلاته العلائقية مع المحيطين به في أسرته وجامعته ومجتمعه المحلي والعام، وعندما يبدأ بإدراك هذه المكاسب الاجتماعية والنفسية والسياسية يشعر عندئذ بأنه اكتسب رؤى ومنطلقات فكرية حول وجوده وأهميته في النسيج الاجتماعي لأنه يرى ذاته في هذه الجماعة وأحكامها عليه فتكون هذه الأحكام بمثابة مرآة اجتماعية تعكس صورته الجميلة عليها (وهذا ما أوضحه جارلس هرتون كولي في نظريته الإنسان في المرآة) الأمر الذي يولد في دخيلته اعتزازاً بنفسه وشعوراً بالأمن والاطمئنان لدرجة تصل أحياناً إلى حالة الاستقلال النسبي عن أفراد أسرته وإدارة الجامعة وسلطة المجتمع والدولة لأنه وجد صورته عند أترابه (نظائره) أجمل صورة وأرشق جسماً من صورته الاجتماعية في مرآة أسرته أو مجتمعه. لذا فإنها هي المؤثر الأكبر في استواء سلوكه وتماثله وانحرافه وعنفه وتقدم له وظائف كثيرة منها غرس معايير جديدة عنده وتقديم المعلومات والخبرات والمعارف التي يحتاج إليها وتكون متنفساً له عن رغائبه المكبوتة (العاطفية والعلائقية) وضبط سلوكه في مواقف مختلفة تمنحه الشعور بالاطمئنان والأمن النفسيين.

والجدير بالذكر هنا أن جماعة الأتراب على الرغم من وجودها في رحم المجتمع الجامعي وتمثل أحد مؤشرات مصدر الجامعة إلا أنها غالباً ما

تكون أقوى منها في التأثير في المجتمع الطلابي لأنها ملتصقة بحياة الطالب اليومية ومتفاعلة مع إيقاعات الأحداث السياسية والاقتصادية والدينية وهذا يوضح أن المجتمع الطلابي الجامعي يتضمن تناقضاً مغلفاً بغلاف النسيج الجماعي الشفاف يتمزق حال ممارسة الجامعة أو الحكومة سياسة المنع أو القمع أو التحجيم أو التلجيم.

ولكي نجول طرداً مع فقرات دراستنا نذهب إلى المصدر الشخصي لنجد كيف تتفاعل مؤشراته مع مؤشرات المصدر الجامعي فعلى صعيد التنشئة الأسرية الخاطئة المتأتية من ممارسة ضغوط وضوابط صارمة داخل الأسرة على أبنائها وإلزامهم بالخضوع لضوابط عرفية عنيفة وبالية لا تساير روح العصر وتعايشهم مع محيط متفتح يضم مؤشرات عصرية تتعاكس مع مبادئ وأسس التنشئة الصارمة فإنهم يجدوا جماعة الأتراب ملاذاً لهم في التعبير عن مكبوتاتهم وطموحاتهم ومعتقداتهم فيخضعون لمؤثراتها أكثر من تنشئة الجامعة لهم ويتماثلون معها ويستجيبون لطلبتها حتى لو كانت متناقضة مع تنشئتهم الأسرية ومنحرفة عن معايير أسرهم والحالة مشابهة مع التنشئة الأسرية الناقصة (التي تعني وفاة أحد الأبوين) إذ تكون عملية تربية الأبناء غير مكتملة فتخلق عندهم مواقف سلبية من الأمانة والشرف والصدق كمبادئ أخلاقية لا يلتزم بها كالتحايل والاستغلال والكذب، وهذا يشجعه على عدم التماثل مع متطلبات التنشئة الجامعية والانضواء تحت مظلة جماعة الأتراب مما يسهل خروجه عن معايير المجتمع والانشقاق عنها وجاهزاً للاقدام على السلوك العنيف عندما تمارس عليه سياسة المنع والقمع واللجم والتحجيم.

حري بنا أن نلتفت إلى مؤشر «الخيبة فالاعتداء» الناتجة عن عدم تحقيق

طموحات الشاب الجامعي إذ عندما ما يعيش في محيط اجتماعي لا يشجعه على أداء رغائبه واحتياجاته والوصول إلى غايته، فإنه يصاب بخيبة أمل ويعيش حالة ذعر محبطة Frustration تدفعه نحو الاعتداء aggression فمثلاً عندما يعرف أن خريجي الجامعات عاطلون عن العمل ولا توجد لهم وظائف في اختصاصاتهم التي درسوها في الجامعة فإن ذلك يولد عنده ذعراً يحبط كل دوافعه وآماله التي يحلم بها فيجنح نحو السلوك العدواني مثل انخراطه في أعمال شغب Riot تعبيراً عن فشله، وهذا يهدد الأمن الجامعي وينشئ تصدعاً في الحياة الجامعية لأن أعمال الشغب الناتجة عن البطالة أو الفقر غالباً ما تُدعم من قبل الشريحة الشبابية الجامعية لعدة أسباب منها شعورهم بأنهم يمثلون طبقة متنورة ومتفتحة واجبها دعم مطالب العاطلين عن العمل والفقراء والدفاع عنهم، بذات الوقت الدفاع عن مستقبلهم المهني في إيجاد فرص عمل لكل الخريجين إلا أن نظرية روزنثال في علم النفس ترجع العدوان الشخصي إلى القاعدة الفيزيولوجية التي تضم أو تشترك مع الأنشطة الكهروكيميائية في الدماغ، أي يوعز السلوك العدواني إلى المرض العقلي (عدم استواء الدماغ)، والعدوان هو أحد أوجه العنف (Adamis, 1973, p.97) في الواقع هذا المؤثر (الخيبة فالاعتداء)، يدفع الطالب إلى الانضمام إلى جماعة الأتراب لكي يعالج خيبته التي أصابته ويتفاعل مع معاييرها وقواعدها ويستجيب لطلباتها وقراراتها المتفاعلة مع إيقاعات الحياة السياسية والاقتصادية والدينية وبالذات المعارضة والمنشقة عن معايير المجتمع، ويكون جاهزاً للتعويض عن فشله وخيبة آماله التي أصابته.

نستنتج من تفاعل مؤثرات المصادر الشخصية والجامعية والمجتمعية تمثل بداية صيرورة الفعل العنفي عند الطالب الجامعي التي تتفجر عندما تمارس عليها سياسة المنع والقمع والتلجيم والتحجيم ونستنتج أيضاً أن الطاقة

البشرية والجماعية ذات تأثير في إحداث التغير أكثر من الطاقة الفردية ولما كانت الشريحة الطلابية الجامعية تتسم بحيوية نابضة بالطموح والاعتداد النفسي والتحمس الوطني وامتلاك سلوك جمعي يقظ يمتلك الإدراك العالي في معرفة مصالح وغايات المجتمع بذات الوقت تتمتع باستعداد (بحكم السن والتعليم) سريع التفاعل الاجتماعي العلائقي والجسد الاجتماعي فإن احتمال تأثرها بالأحداث السائدة في محيطها الاجتماعي يكون سريعاً لكي تجد صورتها المثقفة والحيوية بين الشرائح الاجتماعية الأخرى من المهنيين والإعلاميين والمثقفين والسياسيين والمجتمع الطلابي في أقطار الدنيا ليعبروا عن موقفهم من الهواة القائمة بينهم وبين إدارة الجا معة أو النخبة الحاكمة أو الفساد السياسي والإداري والمالي وهذا بدوره يقود إلى تهديد الأمن الاجتماعي وتصدع الحياة الجامعية .

وفي منطق التحليل السببي يكون الانحراف عن المعايير والخيبة فالاعتداء وغياب الجماعات الوسطية والفساد والسياسي والمالي والإداري والحركات العقائدية ممثلة للمتغير المستقبل تفعل فعلها في إحداث المتغير المعتمد المتمثل في السلوك العدواني ويكون الأخير متوقفاً على الأوائل Implication أي أن نوع ودرجة العلاقة بين المتغيرات المستقلة والمعتمدة متوقفة على نوع ودرجة التفاعل الحاصلة بينهما بمعنى أن السلوك العدواني متوقف وقوعه وحدوثه على الانحراف المنشق والخيبة فالاعتداء وغياب الجماعات الوسطية والفساد السياسي والاقتصادي والإداري والانتماء الحركي، ولا تتوقف هذه المتغيرات المستقلة في حدوثها على السلوك العدواني (المتغير المعتمد) وهذا هو منطق التحليل السببي الذي طرحه موريس روزنبرك (Rosenberg, 1968, p.p23-27) .

الشكل رقم (١) يوضح صيرورة مصادر العنف الطلابي الجامعي

التناقضات المتغلفة (المكبسلة)

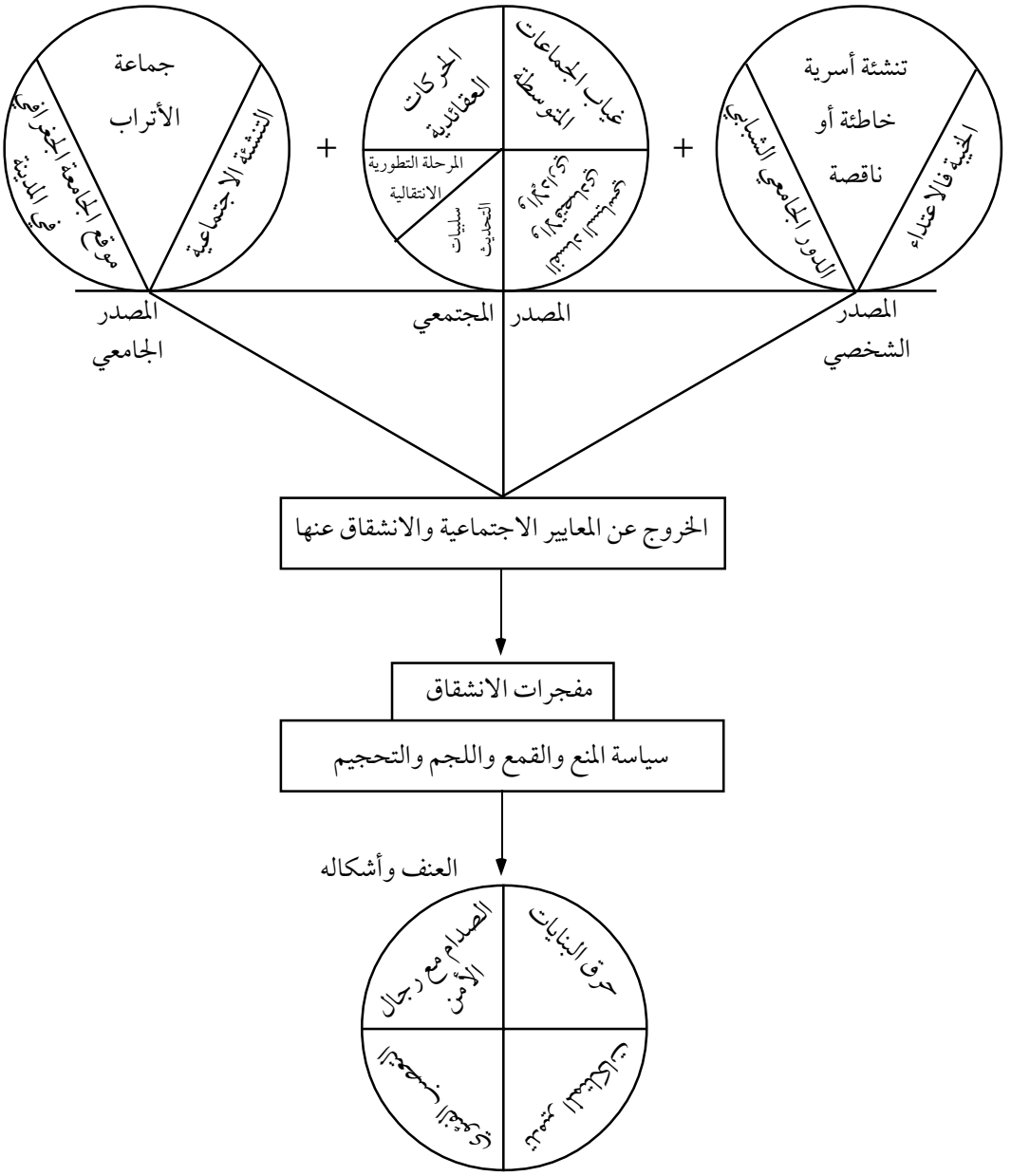

تحليل الفعل العنفي

نعرج بعد ذلك إلى توظيف المفاهيم التي جاءت بها هذه الدراسة في تفسير وتأويل السلوك العنفي في الحياة الجامعية نبدؤها من الجامعة كتنظيم أكاديمي متخصص يضم أعداداً كبيرة من الطلبة ممن يمثلون شريحة عمرية متقاربة من الشباب (مابين ١٨ ـ ٢٦ عاماً) يتفاعلون داخل حرم هذا التنظيم في ساحاته وحدائقه وأروقة ومقاصفه وقاعات دراساته، يتفاعلون مع بعضهم ومع الأساتذة والمحاضرين ومع لوائح الجامعة هذا على الصعيد الداخلي (داخل الحرم الجامعي) وهناك تفاعل خارج يحصل خارج حرمها مثل انتمائهم أو تأثرهم بالتيارات السياسية والاجتماعية وأحياناً انخراطهم بالحركات السياسية ـ والاجتماعية تعرف هذه الحالة في أدبيات علم الاجتماع بالصراع الدوري Role conflict إذ غالباً ما تقع الجامعات في المدن المتحضرة وليس في الأرياف والقرى والمعروف عن علم الاجتماع الحضري أنه يؤكد أن التحضر يستولد الانحرافات عند قاطني هذا النوع من المدن لأنها تسبب توقعات متصارعة وضغوطاً متنوعة الأمر الذي يدفع بالفرد فيها إلى أن يكون متردداً في قراراته ومرتبكاً في تصرفاته ومتحللاً من التزاماته المعيارية فضلاً عن كون المدن، الحضرية يكون الفرد فيها منتمياً إلى عدة تنظيمات وجماعات مهنية واجتماعية وسياسية يجعل مسؤلياته متداخلة وعضوياته متشابكة ومناشطه متقاطعة وكل ذلك يولد عنده تناقضاً وتقاطعاً في دوره الاجتماعي فيسهل له الانزلاق في هاوية السلوك المنحرف.

والطالب الجامعي الذي يعيش في مدينة كبيرة مثل العاصمة أو المدن المتروبوليتان فإنه يتفاعل مع تنظيماتها الرسمية (نوادي وجمعيات واتحادات وأحزاب سياسية ومنتديات) فتولد عنده تداخلاً في مناشطه والتزاماته

وعضوياته التي تجعل عنده التردد في قراراته وضبابية في رؤيته للأمور كل ذلك يبلور عنده حالة التصارع الدوري ممثلاً تربة خصبة لنمو السلوك المنحرف فيها (Schur, 1979, p100) ولما كانت هذه الشريحة الاجتماعية متنورة ثقافياً فإنها تكون مستجيبة بشكل سريع لانماء المبادئ السياسية والاجتماعية والدينية ولا سيما وأن اجتماعهم يكون بشكل يومي وفي مكان محدد المعالم ولما كانت طبيعة المجتمع متغيرة ومتقدمة فإنه (المجتمع) لا يخلو من تبني الأفكار المستحدثة والتيارات الاجتماعية الجديدة وهنا نستطيع أن نقول بسبب الحداثة العمرية لهذه الشريحة الاجتماعية والمبتدئة في تكوينها المعرفي فإنها تكون سهلة الانخراط في سلوكيات متمردة على معايير المجتمع العام وسياسته الداخلية والخارجية باحثة عن الانحراف الاجتماعي والسياسي لها من وكالات المجتمع الرسمية والمدنية وقد حدد هذه الحالة علم الاجتماع عندما قال إن هناك حالات يكون الدور الاجتماعي نفسه مساعداً على الانحراف دون أن يعلم به الفرد Roles conducive to deviation أو مفضي إليه مثل حالة الشاب الأعزب عندما يخضع لضغوط مالية ونفسية قاسية فإنه يميل نحو الإقدم على الانتحار أكثر من المتزوج لأن الأول لا يمتلك مسؤوليات اجتماعية وأسرية مثل الثاني وهنا يكون دور الشاب الأعزب عاملاً مساعداً أو مفضياً إلى الإقدام على الفعل الانتحاري، والحالة مشابهة مع الطالب الجامعي (الأعزب) الذي عمره يتراوح بين (١٨ ـ ٢٦ عاماً)، ولا يمتلك خبرة اجتماعية كبيرة وغير متحملا لأي مسؤولية أسرية أو غيرها لكنه يتعرض لمؤثرات فكرية وعقائدية وعاطفية ومالية وإعلامية جديدة عليه فيتأثر بها بسهولة لعدم وجود خلفية لها عنده بسبب حداثة عمره وقلة خبرته الاجتماعية وتحت هذه الظروف ينقاد إلى هاوية الفعل الانحرافي ليقع فيها ويستجيب لتأثيرات استخدام السلوك العنفي

إذا واجهته مواقف متشددة أو يجهل كنيتها (Schur, 1979, p.101) .

ولما كانت الجامعة تضم أكبر جماعة اجتماعية في المجتمع وهي جماعة النظائر Peer group ومالها من تأثيرات مباشرة في إعطاء صورة الطالب الجميلة والأنيقة (بأنه له صوتاً ورأياً في الأحداث الاجتماعية والسياسية والأكاديمية) وأن له حقوقاً وواجبات وليس واجبات فقط إذن على السلطات المجتمعية والرسمية أن تعترف به وتسمع له (بعيداً عن توجيهات وسلطة أسرته) وعندما يتفاعل مع أحداث المقررات الدراسية العلمية والأدبية فإنه يشعر بتميزه عن باقي أفراد المجتمع من غير الجامعيين .

ولما كان يمثل أو يعكس شريحة شبابية طموحة تتقبل كل جديد من أفكار ومعايير وأنماط فإنه يكون سريعاً في تبنيهما لكي يساير روح العصر بعيداً عن معايير مجتمعه .

ولما كانت معايير المجتمع الجامعي من النوع المنفتح وليس المغلق فإن ذلك يساعده على المطالبة بحقوقه والابتعاد عن واجباته المجتمعية .

ولما كان الطالب العربي معتمداً على أسرته في تمويله المالي ولا يعمل في الحياة المهنية فإن خبرته المجتمعية تكون محدودة جداً غير ملم بأمور الحياة وصعوباتها المادية والأدبية كل ذلك يدفعه نحو الانحراف بشقيه (المنشق وغير المتماثل) الأمر الذي يدفعه إلى أن يسلك سلوكاً عدواينا إذا زادت عليه الضغوط المعيارية أو تأثر بمؤثرات جماعة الأتراب واستجابته إلى المؤثرات الخارجية (التيارات والحركات السياسية والاجتماعية) يمثل هذا التأثر نتاج التفاعلات الاجتماعية بين الطلبة داخل الحرم الجامعي معززاً معايير المجتمع الطلابي ـ الجامعي (المنفتحة) والتي تسمح له بتحقيق طموحاته تلك التي لا يستطيع التعبير عنها في أسرته ومجتمعه المحلي من أجل تحقيق ذاته الشخصية

والاجتماعية بين أقرانه ومن خلالها يريد أن يحصل على مكانة اجتماعية Social Status مرموقة ويكون نجماً Star داخل جماعته الاجتماعية من خلال ممارسته سلوكاً غير متماثل مع معايير الجامعة بل منشق عنها وعن معايير المجتمع العامة تمثل في نظرة صاحب النفوذ المتألق Power Comstellation عندئذ ينخرط تحديد موقفه الانحرافي المترجم على شكل سلوك عدواني (مثل تدمير ممتلكات الجامعة أو الحكومة أو حرق البنايات أو التصادم مع رجال الأمن أو الاعتداء على جماعات متعارضة مع مبادئه أو معتقداته وسواها)، ونستنتج أيضاً أن الطالب يميل نحو الانحراف عن معايير مجتمعه في التصرف بأسلوب عدواني ليحقق أهدافه وغاياته عندما :

١ ـ يواجه مواقف شائكة لا يستطيع معالجتها أو حلها .

٢ ـ يواجه مواقف وحا لات تتحدى مصالحه أو معتقداته أو طموحه .

٣ ـ لا يستطيع استخدام وسيلة الاقناع في الحصول على مايريد ويطالب .

٤ ـ اقتناعه بالعقوق والتصرف العدواني كأسلوب وحيد في مواجهته .

المواقف الشائكة والمتحدية .

٥ ـ يعتبر نفسه أكثر وعياً بالأحداث التي تدور في المجتمع .

٦ ينظر إلى نفسه على أنه شخص حيوي وفاعل في المطالبة والدفاع عن المصالح العامة والحقوق المدنية ونصرة المظلومين والمضطهدين .

٧ ـ وفي ضوء ما يواجه ويعتبر فإن تفاعله مع الآخرين من زملائه وأصدقائه يكون مرناً ومفتوحاً لكي يبرر سلوكه العدواني منطلقاً من قناعته بما يعتقد ويطمح (O'brien, 1964, p.256)، وهنا نستطيع أن نقول إن السلوك العداوني داخل الحياة الجماعية يعد سلوكاً مكتسباً لاموروثاً ولا يتأثر بالطبيعة البشرية انظر الشكل رقم (٢) .

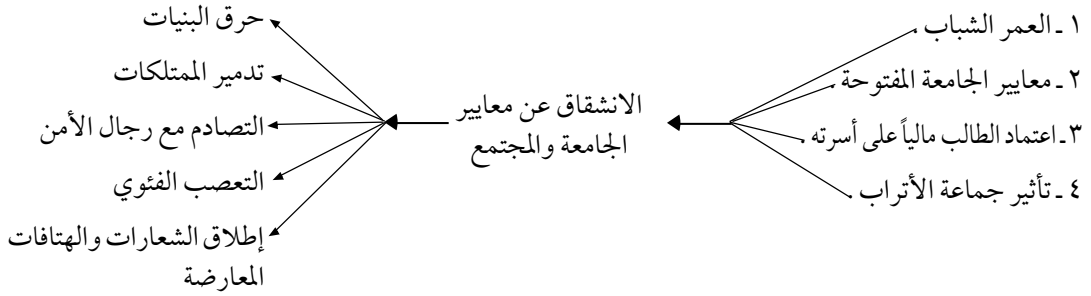

الشكل رقم (٢) يوضح خطوات التحليل

تنظير الفعل العنفي

ومن أجل تمحيص ما تقدم سنقوم بالتوظيف النظري حسب نظرية الفعل الاجتماعي إذ ساقت المعلومات السالفة الذكر في هذه الدراسة اعتبار السلوك العنفي في الحياة الجامعية فعلاً اجتماعاً منسقاً على الرغم من انحرافه عن ضوابط النسق التعليمي التربوي بسبب تأثره تأثيراً سلبياً بالمحيط الجامعي والمجتمعي ولكي نثبت قولنا سوف نقوم بتنظير المعلومات التي ذكرناها آنفاً عن أسباب مهددات الأمن الجماعي نبدؤها بـ:

أ ـ خامات الفعل الفردي للطالب الجامعي إلى عناصره الطبيعية التي لم تتأثر بآليات التفعيل الجامعية وهذه الخامات تتمثل في:

١ ـ الرغبات الفجة.

٢ ـ والنفور العفوي

٣ ـ والإدراكات الحسية

ب ـ آليات تفعيل السلوك الجامعي السوي المتمثلة في:

١ ـ الآخرين وهم أفراد الجماعة العمرية ـ الأتراب

٢ ـ المحيط الجامعي

٣ ـ العقل

٤ ـ الإدارة الذاتية للطالب .

ج ـ حصيلة التفعيل .

نبدأ الآن بتفسير وتأويل الفقرات المذكورة أعلاه : نقصد بخامات العقل الفردي للطالب الجامعي بالرغبات الخام (الغريزية)، التي تلعب دور المهماز الغريزي (كمنبه أو محرك) الذي يحرك الطالب الجامعي نحو أهدافه الغريزية مثل رغبته في إقامة علاقات اجتماعية مع زملائه الطلبة ثم إداراكاته المتمثلة في رغبته لسماع أخبار الطلبة الذين يتفاعل معهم والتعرف عليها بدافع الفضول الاجتماعي لمعرف الأخبار والأحداث التي تدور حوله وهنا يكتسب الطالب العديد من الأقوال والمفردات اللغوية التي يتداولها الشباب الجامعي في لقاءاتهم وجلساتهم بل تصل إلى اقتدائه باللباس والأفكار والعادات الفردية وفي هذا المفصل السلوكي لا يحصل انحراف عنها ولا يتخذ مواقف عدوانية (في أغلب الأحيان)، لأنها في مرحلتها الخام والفجة لاسيما وهي في بداية التعجن المؤسسي (أو التمأسس أو التنشئة الجامعية) .

ومن ناقله القول أن نشير إلى أن الآخرين وبالذات جماعة الأتراب يجد الطالب الجامعي فيها درجة مصداقية حكمهم عليه والتحقق من صفائه ونقائه من خلال مواقفهم منه ، عنئذ يتقرب منهم ويعبر عن إعجابه بهم وعن انتقاله إلى المحيط الجامعي الذي يضم أحاديث الساعة عن علاقات الطلبة وهواياتهم وطموحاتهم والأحداث الاجتماعية المحلية والإقليمية والدولية التي تعكس زمن حدوثها هنا يبدأ التأثير المباشر في النقد والتقويم والتقييم للأحداث والشخصيات والأفعال التي تهم جماعة النظائر

(الأتراب) وعند هذه المرحلة يتم اكتساب المواقف والآراء والأفكار الناقدة للأوضاع الاجتماعية والسياسية والاقتصادية والتذمر من صرامة الضوابط الاجتماعية العرفية والجامعية والمؤسسية والاهتمام بأقوال وأحكام الآخرين التي تمثل مرآة المجتمع بالنسبة للطالب الجامعي وعبر هذه المرآة يخضع لمؤثرات الحركات العقائدية ومواقفها من الأحداث السياسية الدائرة في المحيط الا جتماعي لا سيما وأن موقع الجامعة يقع في المدن الحضرية أو المتروبوليتانية وما تتضمنه من تناقضات دورية وفكرية وإعلامية التي تظهر في هذه المرحلة تداخلاً مقطعياً للمحيطات المكانية والزمانية تعكس اجتماع أبناء الريف والمدن وأبناء المحافظين مع الليبراليين وأبناء الفقراء مع الأغنياء وما تؤول إليه هذه الحالة من صراع في الأدوار الاجتماعية Role Conflict لهذا النوع من الطلبة فضلاً عن مؤثرات دورهم الشبابي Role Conducive الذي يكون عاملاً مساعداً في انخراطهم بسلوكيات نافرة من المعايير التقليدية والرغبة في الخروج عنها .

لا جناح من الإشارة في هذا المقام إلى أن المحيط الجامعي يمثل المحيط الواسع الذي يضم مفردات اجتماعية متعددة ومتنوعة تثري الطالب الجامعي بشحنات خبراتية تشجعه وتنشطه لتقربه من الجانب العملي وتبعده عن العيش برتابة وملل وسأم في معيشته بل تزيد من ثقافته العامة والخاصة وهذه بداية تمأسس السلوك الجامعي المنسق بالنسق التعليمي ـ التربوي .

بنفس الوقت تتفتق عند الطالب الجامعي وهو في هذه المرحلة طاقاته الخلاقة والمبدعة والرغبات الشخصية المتفننة بالذوق الرفيع لكنها ملجومة من قبل وسائل الضبط الاجتماعي الرسمية والعرفية التي لا تؤدي إلى ممارسة طاقاته المبدعة ورغائبه المتذوقة للجمال الرفيع والحرية الشخصية فيحصل

عنده صراع دوري وقيمي وفكري واجتماعي عندئذ يستخدم الطالب عقله في مقارنة ومفاضلة ما يدركه وما يرغب به وما ينفر منه حسب خضوعه لمؤثرات المحيط الجامعي ومجتمع المدينة، عندها تتدخل إرادته المتعمدة باستلاب تفكيره لصالح جماعة النظائر (الاتراب) عند هذه الحالة تبدأ حالة الخروج عن معايير وضوابط المجتمع الرسمية والعرفية (وهذه حالة انحرافية غير مقصودة ومرسومة من قبل النسق التربوي لأنه لا يقرها بل يدينها ويرفضها ولكي نجول طرداً مع موضوع دراستنا ندلف إلى مدار «حصيلة التفعيل» الذي يعني الصيغة السلوكية المصنوعة من قبل مؤثرات آليات التفعيل (المحيطية وغير المحيطية) وتشمل ما ينتج عن مستلزمات أدوار الفاعل التي مارسها والمواقع التي أشغلها والعلائق الاجتماعية التي بناها أو ارتبط بها ، جميعها تؤثر في إرادته فتوجهها باتجاه أهداف محيطه وفكره فتطبعه بطبائع حدود المحيط بتعبير آخر يضحى الطالب (الفاعل) الابن الشرعي لمحيطة الاجتماعي (المحيط الجامعي) بل حتى لو خرج عن مكنونات محيطه وضوابطه المكانية والزمانية وبات نافراً وناكراً وجودها ورافضاً التعايش معها حتى هذا يعتبر أيضاً من صنيعة محيطة لكنه متجه وجهة عكسية بسبب تأثره السلبي بمؤثرات محيطه ويمكن القول عنه إنه الابن الشرعي لمحيطه لكنه متخالف مع اتجاهاته المحيطية، نقول إن السلوك العنفي على الرغم من كونه غير سوي (مرضي Pathology).

إلا أنه من صنيعة المحيط الجامعي والمجتمعي الذي يتفاعل معه بسلبية غير مستجيبة لقواعد ومعايير النظام الجامعي ولا يدخل في هذا التفاعل العقل في إحلال التوازن بين الرغبة والنفور بشرط ألا يخرج عن حدود مؤثرات المحيط (زمانياً ومكانياً) ومتطلبات جماعة النظائر (الأتراب) آنذاك يستطيع الطالب الجامعي بهذه الكيفية سواء أكان سوياً أم متمرداً، أما عندما

يحصل السلوك العنفي فإنه ينتج عن غياب عقل الطالب الجامعي لأنه يخضع لضغوط السلوك الجمعي (الجمهور) المتبلور عن التأثر بالحركات العقائدية أو الفساد السياسي والاقتصادي والإداري أو سلبيات التمدن المتعصرن.

آيتنا في هذه الدراسة هو القول: إن المهددات التي أوردناها ماهي سوى أسباب استولدتها الحياة الاجتماعية والاقتصادية والسياسية المتطورة التي تظهر في مجتمعات المدن الكبرى أو العواصم لكنها لا تظهر في المجتمعات الريفية والبدوية والتقليدية والمحافظة بسبب استقرارها وبطء نموها وتغيرها المستمر إذ كلما زادت سرعة التغيرات التكنولوجية والعلمية ازدهرت نباهة العقل الفردي واندفع نحو الاهتمام بالنزاهة الموضوعية ومساءلة المسؤولين عن صلاحياتهم ونشاطهم ومع وجود الجماعات المتوسطة Intermediate group تتعزز مسألة ومحاسبة النخبة السياسية والمهنية والاقتصادية من قبل المجتمعات الطلابية الجامعية التي قد تندفع إلى الدخول في صدامات دامية مع رجال الأمن أو حرق المباني أو تكسير آثاثها ومحتوياتها إذا واجهت عقبات منع أو قمع في التعبير عن آرائها أو معتقداتها أو مواقفها تعبيراً عن غضبها وانفعالها التي لا تخضع لضوابط عقلية بل يرزح تحت ضغط الشعور والعقل الجمعي الذي يكون أوطأ مستوى من الشعور والعقل الفردي وهذا ما أكده عالم الاجتماع الفرنسي القديم (جوستاف ليبون).

وعلى الجملة يمكن القول: إن السلوك العنفي يعد سلوكاً مكتسباً يعكس الافراز السلبي للتنشئة الجامعية السوية ولا غرابة من ذلك، لأن المؤسسات الرسمية (والجامعة إحداها) لا تستطيع التحكم في صيرورة عمليتها التنشيئية بشكل تام وكامل وعلى جميع طلبتها بسبب المؤثرات المحيطية التي تحيط بها وبسبب كون الطلبة هم من أبناء المجتمع المحلي والعام قبل أن يكونوا أعضاء (طلبة) فيها انظر شكل رق م (٣) يوضح النتشئة الجامعية بشقيها السوي والمرضي.

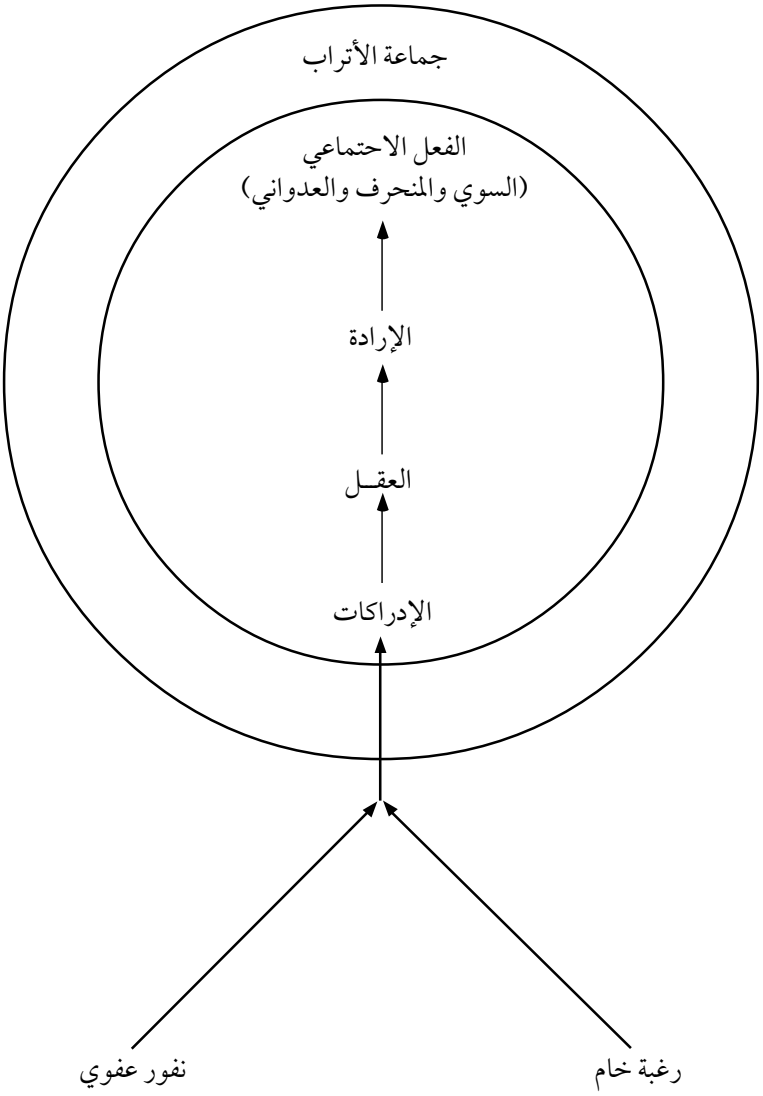

الشكل رقم (٣) يوضح التنشئة الجامعية بشقيها السوي والمرضّي

الخلاصة

ينتج السلوك العدواني عن الانحراف المعياري فهو إذن سلوك مكتسب وليس موروثاً، يظهر في شريحة اجتماعية تتميز بالطموح الثقافي والألمعية الذهنية والاعتداد الذاتي والتحمس الوطني والإدراك العالي بمعرفة مصالحها ومصالح المجتمع.

إلا أنها بحكم عمرها المتوسط وثقافتها المتواضعة تكون سريعة في تفاعلها مع الأحداث الاجتماعية والسياسية والدينية من تأكيد وجودها في النسيج العلائقي والجسد الاجتماعي على الرغم من قلة خبرتها في الحياة الاجتماعية والسياسية العامة الأمر الذي يجعل بعضاً من أفرادها ممن نشأوا نشأة ناقصة أو خاطئة أو بسبب عدم تحديد المجتمع بعد لدور الفرد وهو في مرحلته الانتقالية (من التقليدية إلى العصرية) وتأثره بجماعة الأتراب ـ النظائر وبسبب خيبته في العيش، كل ذلك يدفعه نحو الإقدام على مخالفة معايير مجتمعه على شكل سلوك عدواني يربك نسق التنظيم الجامعي ويبعده عن تحقيق أهدافه التربوية والعلمية والأكاديمية الأمر الذي يؤدي بالتالي إلى تصدع الحياة الجامعية فيحصل تهديد للأمن الجامعي.

التوصيات

إنه من العسير إن لم يكن من المستحيل التعامل بشكل جذري وشامل مع المتغيرات الشخصية والجامعية والاجتماعية في معالجة السلوك العنيف عند الطلبة الجامعيين، إلا أنه من الممكن معالجة مفجرات الانشقاق عن المعايير الاجتماعية وذلك عن طريق التخفيف من سياسة المنع والقمع واللجم والتحجيم. بتعبير آخر السماح للطلبة الجامعيين بالتعبير عن

همومهم ومعاناتهم وملاحظاتهم ونقدهم للممارسات المؤسساتية الرسمية عند مخالفتها للمصالح الوطنية والسيادية وعدم قمع نشاطهم الطلابي وفتح أبواب الحوار المفتوح والعلني أمام و سائل الإعلام وإصدار صحيفة خاصة بأنشطتهم وأفكارهم ومعتقداتهم بأنواعها المختلفة كقناة لتصريف معاناتهم المرحلية وامتصاص انشقاقهم أو معارضتهم عندئذ يتم احتواء الانشقاق وتحويله إلى موقف بناء بدلاً من تركه ليصل إلى حالة العنف المخرب .

كذلك فتح نوادي ثقافية جامعية تمارس مناشطها داخل الحرم الجامعي وخارجه . واستحداث مواسم ثقافية واجتماعية سنوياً يسهم فيها الطلبة بشكل فعال من أجل إشعارهم بأنهم عناصر ثقافية واعدة تتهيأ للاسهام في عملية الانماء والتطوير فضلاً عن مد الجسور بين إدارة الجامعة والشركات والمصانع والمعامل والمشاريع في توظيف الطلبة خلال العطلة الصيفية لكي لا يشعروا بأن مستقبلهم مجهول أو أن الجامعة مجرد تنظيم إقليمي يتخلى عن أعضائه (الطلبة) حال تخرجهم .

المراجـــــع

1. Adams, James (1973). "Understanding Adolescence" Allyn and Bacon Inc.Boston.
2. Etzioni, Amitai (1971). "Contemporary Social Problems (eds.) Merton, R. and Nisbet, R. Social Problems and Sociological Theory, Harcourt Brace Jovanovich Inc. New York.
3. Merton, R. and Nisbet, R. 1971. "Social Problems and Sociological Theory" (ed.) Harcourt Brace Jovanovich Inc. New York.
4. O'obien, Robert and (et.al) 1964. "Reading in General Sociology". Houghton Mifflin Co. Boston.
5. Schur, Edwin, 1979. "Interpreting Deviance" Harper and Row Pub. New York.
6. Rosenberg, Morris, 1968. "The Logic of Survey Analysis". Basic Books Inc. Pub. New York.
7. Ryan, Bruce, 1967. "Socio-and Cultural Change". The Ronald Press Co. New York.
8. Vayrynen, Raimo 1989. "Collective Violence in a Discontinuous World". International Social Science Journal Vol. UNESCO. XXXVIII.